مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(أعمال ٢٠:١٦–١٨؛ ٢٨–٣٦)

في تلك الأيام ارتأى بولسُ أن يتجاوزَ أفسُسَ في البحرِ لئلاَّ يعرضَ له أن يُبطِئَ في آسية، لأَنَّهُ كان يعجَلُ حتى يكونَ في أورشليمَ يومَ العنصرةِ إن أمكنه* فمن ميليتُسَ بعثَ إلى أفسُسَ فاستدعى قُسوسَ الكنيسة* فلمَّا وصلوا إليه قال لهم* احذَروا لأنفسِكم ولجميعِ الرعيَّةِ التي أقامَكُمُ الروحُ القدُسُ فيها أساقفةً لترعَوْا كنيسةَ اللهِ التي اقتناها بدمِهِ* فإنّي أعلَمُ هذا أنَّهُ سيدخُلُ بينكم بعد ذهابي ذئابٌ خاطِفة لا تُشفِقُ على الرعية* ومنكم أنفسكم سيقومُ رجالٌ يتكلَّمونَ بأمورٍ مُلتوية ليجتذبوا التلاميذَ وراءَهم* لذلك اسهروا متذكّرينَ أنّي مدَّةَ ثلاث سنينَ لم أكفف ليلاً ونهاراً أن أنصحَ كُلَّ واحدٍ بدموع* والآنَ أستودِعُكم يا إخوتي اللهَ وكلمةَ نعمتهِ القادِرةِ أن تبنيَكم وتمنحَكم ميراثاً معَ جميعِ القديسين* إنّي لم أشتهِ فِضَّةَ أو ذهبَ أو لباسَ

العدد ٢٠/٢٠٠٧

الأحد ٢٠ أيار

أحد آباء المجمع المسكوني الأول

تذكار القديس الشهيد ثلاّلاوس

اللحن السادس

إنجيل السَحَر العاشر

مجد المسيح ابن الله

«ثقوا، أنا قد غلبت العالم» (يو ١٦: ٣٣)، كانت آخر ما قاله المسيح قبل دخوله في الصلاة الوداعية، تلك التي كرّس بها ذاته ذبيحة للخلاص الآتي من عند الآب. بهذه العبارة لا يعتدّ المسيح بإنجاز ما، بل يعلن استعداده – إذ غلب نواميس العالم وما غلبته خطيئة – ليكون ذبيحة شاملة من أجل الآخرين لا من أجل ذاته. هكذا صارت ذبيحة المسيح ممجدة بالمجد الإلهي، دائمة لا يحدّها ظرف ولا زمان، ينمو في مجدها كل من يشترك فيها. لعل في كلمات المسيح هذه إعلاناً أول للطابع الإلهي الحميم الذي يطبع حوار الإبن مع أبيه، في الصلاة التي هي نص إنجيلنا لهذا اليوم.

رفع المسيح عينيه نحو السماء منتقلاً، بنفسه وبسامعيه، إلى الحضرة الإلهية التي السماء رمزها، في أول حوار سري مع أبيه يشهده إنسان. الحوار موجّه إلى الآب السماوي بحميمية الابن مع أبيه، ولكن على مسمع البشر وبرسم فهمهم، علّهم يرتقون إلى مستوى الشركة السرّية بين الابن وأبيه. المسيحي مدعو رسمياً إلى هذا المستوى في الصلاة لأنه بالمعمودية بات مشتركاً بالمسيح كلياً.

«يا أبتِ قد أتت الساعة»، يقول المسيح السيد. تشير صيغة العبارة إلى ما يشبه الموعد المتفق عليه مسبقاً بين الإبن وأبيه، وهو موعد المجد في المهانة وموعد القيامة في الموت، أو الموعد الذي يثبت نجاز الغلبة. أما مضمون الساعة وموضوع الموعد فهو «مجّد ابنك ليمجّدك ابنك أيضاً». والتمجيد في مفهوم المسيح هو استعلان طبيعته الإلهية – بقوة – للعالم. حقيقة طبيعته الإلهية تظهر للعالم بانتصاره بالقيامة على الموت، وقد استحق هذا التمجيد بالفعل بعدما غلب العالم. هذا وسوف تؤول قيامته العلنية وصعوده إلى الآب إلى تمجيد الآب أيضاً: مشروع الخلاص يبدأ بإرسال الآب للإبن إلى العالم فادياً وينجز بعودة الإبن إلى الآب. هكذا باستعلان حقيقة الإبن وطبيعته تستعلن حقيقة الآب وطبيعته، بقوة تزيل كل التباس قديم. «لذلك رفعه الله

أحدٍ* وأنتم تعلمون أنَّ حاجاتي وحاجاتِ الذينَ معي خدمَتْها هاتانِ اليدان* في كُلِّ شيءٍ بيَّنتُ لكم أنَّه هكذا ينبغي أن نتعبَ لنُساعدَ الضُّعفاءَ وأن نتذكَّرَ كلامَ الربِّ يسوعَ. فإنَّهُ قالَ إنَّ العَطاءَ هو مغبوطٌ أكثر من الأخذ* ولمَّا قال هذا جثا على رُكبتيه مع جميعهم وصلّى.

الإنجيل

(يوحنا ١٧: ١-١٣)

في ذلك الزمان رفع يسوعُ عينيهِ إلى السماءِ وقال يا أبتِ قد أتتِ الساعةُ. مجِّد ابنَك ليمجِّدَك ابنُك أيضاً* كما أعطيتَهُ سلطاناً على كلّ بشرٍ ليُعطِيَ كلَّ من أعطيتَهُ لهُ حياةً أبديَّة* وهذه هي الحياةُ الأبديةُ أن يعرفوكَ أنتَ الإلهَ الحقيقيَّ والذي أرسلتَهُ يسوعَ المسيح* أنا قد مجَّدتُك على الأرض. قد أتممتُ العملَ الذي أعطيتَني لأعملَهُ* والآنَ مجّدني أنت يا أبتِ عندك بالمجدِ الذي كان لي عندكَ من قبلِ كونِ العالَم* قد أعلنتُ اسمَكَ للناسِ الذين أعطيتَهم لي من العالَم. هم كانوا لك وأنت أعطيتَهم لي وقد حفِظوا كلامك* والآن قد علِموا أنَّ كلَّ ما أعطيتَهُ لي هو منك* لأنَّ الكلامَ الذي أعطيتَهُ لي أعطيتُهُ لهم. وهم قبلوا وعلِموا حقًّا أنّي منكَ خرجتُ وآمنوا أنَّك أرسلتني* أنا من أجلهم أسألُ. لا أسألُ من

وأعطاهُ اسماً فوقَ كلِّ اسمٍ، لكي تجثو باسمِ يسوعَ كلُّ رُكبةٍ ممَّنْ في السماءِ ومَن على الأرضِ ومَن تحت الأرض، ويعترفَ كلُّ لِسانٍ أنَّ يسوعَ المسيحَ هو ربٌّ لمجدِ اللهِ الآب»، يقول الرسول بولس مفسّراً (في ٢: ٩-١١). ولا بد من ملاحظة الارتباط الجوهري المتبادل، وعلى المستوى نفسه، بين مجد الآب ومجد الإبن الذي لا يستعلن أحدهما دون الآخر. أما المطلوب في آخر المطاف فهو مجد الآب إذ إن المسيح ما أتى إلى العالم ليحقق له فيه مجداً، بل ليمجّد الله أباه: «... ولكن لأجل هذا أتيتُ إلى هذه الساعة، أيُّها الآبُ مجِّد اسمكَ. فجاءَ صوتٌ من السماءِ مجَّدتُ وأُمجِّدُ أيضاً» (يو ١٢: ٢٧-٢٨). واضح من هذه الآية أن طلب المسيح المجد من الآب ما كان من أجل ذاته، بل ليتمجَّد الآب الذي باسمه يعمل المسيح. وبقدر ما سوف يتمجّد الإبن بقيامته من الموت سيتمجد الآب الذي أرسله: الآب يمجّد ابنه بإعلان ألوهته، والإبن يمجّد أباه بإعلان صلاحه ومحبّته للبشر.

فيما يلي يلخّص المسيح كل عمله على الأرض راداً إيّاه لمجد الآب حيث لا يمكن للقارئ المؤمن إلاّ أن يرى بوضوح، اهتمام الإبن بمجد أبيه أولاً: «أنا قد مجّدتك على الأرض، قد أتممت العمل الذي أعطيتني لأعمله... قد أعلنت اسمك للناس» وهو المساوي له في الأزلية والمجد: «مجّدني أنت يا أبتِ عندك بالمجد الذي كان لي عندك من قبل كون العالم». هذا لأنه «صادق وليس فيه ظلم»، ولا يطلب إلاّ «مجد الذي أرسله» (يو ٧: ١٨). أما المعنى الإنجيلي المباشر لمجد المسيح فهو طاعته للآب حتى الموت المهين، ومن ثم قيامته الإلهية وصعوده إلى

السماء وجلوسه عن يمين الآب، حاملاً معه غنائم ظفره وهي أنفس أسرى الشرير منذ القديم. هذا بالإضافة إلى تحقيقه امتداد هذا الظفر إلى آخر الأزمان معطياً الحياة الأبدية – أبديته – للمؤمنين به بحق (٢:١٧). حتى في هذا المعنى المباشر نرى المسيح لا يجد مجده إلا في مجد الآب، أي في خلاص الذين من أجلهم أرسله الآب الكلي الصلاح. صحيح أن العالم الجاحد ما اعترف للإبن بمجده منذ البداية، «كان في العالمِ وكُوِّنَ العالمُ به ولم يعرفهُ العالم» (يو ١: ١٠)، لكن مجده أعلن للعالم بقوة عندما أتت ساعة الخلاص. إبن الله الوحيد «ظهرَ في الجسدِ، تبرَّرَ في الروحِ، تراءَى لملائكةٍ، كُرِزَ به بين الأُممِ، أُومن به في العالمِ، رُفعَ في المجدِ»، على ما يعلّم الرسول بولس (١ تيمو ٣: ١٦). بيد أن الـ«أوُمن به في العالم» تبقى غير مكتملة ما لم تشمل العالم كله. فغاية ذبيحة المسيح خلاص الخليقة بأسرها. يقول العلاّمة أوريجنّس إن «المسيح في نزاع مستمر إلى أن يخلُص آخر إنسان»، إذذاك يكتمل إعلان مجد المسيح ويختتم التاريخ.

آباؤنا قديسو المجمع المسكوني الأول رأوا في هذه الآيات جوهر مجد المسيح، فأعلنوا إيمانهم به رباً واحداً، نوراً من نور وإلهاً حقاً من إله حق، وعلى إيمانهم هذا قامت الكنيسة وبه تدوم.

أحد الآباء

«ان ابن الله صار إنساناً بالحقيقة وانه صعد إلى السموات وهو إنسان تام وإله تام وجلس عن يمين العظمة في الأعالي، وانه أيضاً

أجلِ العالمِ بل من أجلِ الذينَ أعطيتَهم لي. لأنَّهم لك* كلُّ شيءٍ لي هو لك وكلُّ شيءٍ لكَ هو لي وأنا قد مُجِّدتُ فيهم* ولستُ أنا بعدُ في العالم وهؤلاءِ هم في العالم. وأنا آتي إليك. أيُّها الآبُ القدُّوسُ احفَظْهُم باسمِك الذين أعطيتَهم لي ليكونوا واحداً كما نحن* حين كنتُ معهم في العالمِ كنتُ أحفَظُهم باسمك. إنَّ الذين أعطيتَهم لي قد حفظتُهم ولم يهلِكْ منهم أحدٌ إلاَّ ابنُ الهلاكِ ليتمَّ الكتابُ* أمَّا الآنَ فإنّي آتي إليك. وأنا أتكلَّم بهذا في العالمِ ليكونَ فرحي كاملاً فيهم.

تأمل

«إن العطاء مغبوط».
يشاهد الغني الفقير ذليلاً عند قدميه، يستعطفه ملتمساً العون منه، ورغم ذلك يبقى قاسي القلب متحجّر العاطفة. إنّ منظراً كهذا الذي يحرّك المشاعر الطبيعية في قلب كل إنسان لا يحرّك ساكناً في قلب الغني البخيل. فيبقى لا ينعطف لتوسّل، ولا يلين أمام دموع منسكبة، رافضاً كل التماس وسؤال. ويزيد شرًّا على شرّ عندما يأخذ يقسم اليمين بأنه لا يملك مالاً للمساعدة، وبأنّه هو المحتاج والفقير، وهو نفسه يطلب العون من الغير. وهكذا يزيد على خطيئة الكذب خطيئة القَسَم الباطل فيزداد شرًّا وإثماً أمام الرب.
مسكين هذا الفقير. ذهب

مساوٍ للآب في الجوهر والكرامة. فلهذا السبب رتبوا بإلهام إلهي هذا العيد الحاضر بعد الصعود المجيد» (سنكسار أحد الآباء – كتاب البندكستاري).

في هذا الأحد الواقع بين خميس الصعود وأحد العنصرة نتابع الإحتفال بقيامة الرب يسوع من بين الأموات وصعوده إلى السموات من خلال إكرام آباء المجمع المسكوني الأول الذين أعلنوا بالإجماع ان الرب يسوع مساوٍ للآب في الجوهر. انه ابن الله الصائر إنساناً لأجل خلاصنا. الذي مات وقام هو ابن الله، وهو الذي أصعد طبيعتنا البشرية التي لبسها إلى السماء وأجلسها عن يمين الآب. الإيمان بابن الله الذي أعلنه آباء المجمع المسكوني الأول هو احتفال بالقيامة، لأنه بالقيامة برهن الرب لنا انه ابن الله المخلّص: «الذي إذ كان في صورةِ اللهِ لم يحسِبْ خُلسةً أن يكون معادِلاً لله. لكنه أخلى نفسَهُ آخذاً صورةَ عبدٍ صائراً في شِبهِ الناس. وإذ وُجِدَ في الهيئةِ كإنسانٍ وضعَ نفسهُ وأطاعَ حتى الموتَ موتَ الصليب. لذلك رفعهُ اللهُ أيضاً وأعطاهُ اسماً فوقَ كلِّ اسم. لكي تجثو باسمِ يسوعَ كلُّ رُكبةٍ ممَّن في السماءِ ومَن على الأرضِ ومَن تحتَ الأرضِ ويعترفَ كُلُّ لسانٍ أنَّ يسوعَ المسيحَ هو ربٌّ لمجدِ اللهِ الآبِ» (في ٢:٧–١١).

لقد أعلن آباء المجمع المسكوني الأول في سطور قليلة، في دستور الإيمان، ما تشهد عليه كتب العهد الجديد كافة، أن يسوع المسيح هو ابن الله المتجسد الذي مات وقام من بين الأموات وصعد إلى السموات، الذي به صولحت كل البشرية مع الله الآب: «لكنَّ الكُلَّ من اللهِ الذي صالحنا لنفسه بيسوعَ المسيحِ وأعطانا خدمةَ المصالحةِ، أي إن الله كان في المسيحِ مصالِحاً العالمَ لنفسه غير حاسِبٍ لهم خطاياهم وواضِعاً فينا كلمةَ المصالحةِ» (٢كور ٥: ١٨و١٩).

اجتماع هؤلاء الآباء كان في نيقية (حالياً هي في قرية ازبيق في الأناضول) عام ٣٢٥ بدعوة من الإمبراطور قسطنطين ودعم السلطات الكنسيَّة على أثر انتشار بدعة الكاهن الإسكندري آريوس الذي علّم «ان الإبن غريب عن جوهر الآب»، أي ان الإبن ليس مساوياً للآب في الألوهة، أي ليس إلهاً حقيقياً. حضر المجمع ٣١٨ أسقفاً من كافة أنحاء المسكونة وأصدروا الجزء الأول من دستور الإيمان الذي نعرفه اليوم، من «أؤمن بإله واحد» حتى «وبالروح القدس».

يحتل المجمع المسكوني الأول موقعاً مميزاً في ما يخص العقيدة المسيحية لأنه بتأكيده ألوهة المسيح أرسى قواعد كل التعريفات اللاحقة. التجربة الكبرى بالنسبة للاهوت الحديث هي الإنزلاق نحو مفهوم «بشري» لشخص المسيح، إن لم يكن عودة كل الآريوسية، حيث ينظر إليه كمخلوق متألّه.

يبقى السؤال لماذا نعيِّد لآباء المجمع المسكوني الأول في هذا الأحد بالذات؟ لأن الإيمان بابن الله الذي شهدوا له هو الذي بُنيت عليه الكنيسة يوم حلَّ الروح القدس على التلاميذ في العنصرة، هذا الروح الذي وعد الرب بإرساله عندما صعد إلى السماء (أع ٨:١ و٩).

عندما سأل الرب تلاميذه «مَن تقولونَ إنّي أنا، فأجاب سمعانُ

يطلب العون من الغني فوجد عداءً، ذهب يطلب دواء فوجد سُمًّا. كان الواجب يحتّم عليك أيها الغني أن تخفّف البؤس وليس أن تزيد الشقاء مستغلاً العوز والبؤس. فأنت تستغلّ فقر الإنسان لفائدتك الخاصة. وبهذا تشبه الفقير الذي يلتمس المطر لحصاد أوفر، فمثله أنت تستغلّ فقر وعوز الفقير لكي يكثر غناك.

قال السيد: «أقرضوا غير مؤمّلين شيئاً» (متى ٥:٤٢)، وأنت تقول كيف أقرض دون أمل باسترجاع المال لأن المستقرض هو فقير ومحتاج. انّك غارق في الجهالة والغباوة ولا تعلم انّك عندما تقرض الفقير باسم السيّد تقرض الله نفسه، لأنّ السيّد كريم، وهو كفيل الفقير وهو الذي يسدّ ديون الفقير بعطاياه السخيّة.

الإنسان الذي لا يتأثّر لمنظر البؤس يستحقّ القصاص الشديد. وهو بالحقيقة إنسان غرق في الوحشية. ويا ترى لماذا لا نعدّه وحشاً مفترساً؟ ولماذا لا يُحسب مع القتلة والمجرمين؟ لأن الإنسان الذي يستطيع معالجة الشرّ ويستنكف عن المساعدة بسبب البخل يستحقّ أن يُحصى مع القتلة المجرمين. انّ السيّد، عند محاسبته للصدّيقين، جعل الذين يقومون بأعمال المحبة في مقدّمة المختارين. وبالعكس جعل الذين ابتعدوا عن المحبة في عداد الخطأة المنبوذين.

القديس باسيليوس الكبير

بُطرسُ وقالَ أنتَ هو المسيحُ ابنُ اللهِ الحيِّ. فأجابَ يسوعُ وقال لهُ طوبى لكَ يا سمعانُ بنَ يونا. إنَّ لحماً ودماً لم يُعلِن لك لكنَّ أبي الذي في السموات. وأنا أقولُ لكَ أيضاً أنت بطرسُ وعلى هذه الصخرةِ أبني كنيستي» (متى ١٦:١٥–١٨). إذاً على صخرة إيمان بطرس بيسوع المسيح ابن الله بنى الرب كنيسته.

اليوم فيما نعيش هذه الفترة التي تلي عيد الصعود الإلهي والتي هي فترة انتظار حلول الروح القدس وتأسيس الكنيسة فعلياً على الأرض، تذكِّرنا الليتورجيا بأن الإيمان بيسوع على انه ابن الله هو أحد أهم ركائز الكنيسة وهذا ما علَّمه آباء هذا المجمع. ولكن «ليس أحدٌ يقدِرُ ان يقولَ يسوعُ ربٌّ إلاَّ بالروحِ القدس» (١كور ١٢:٣). وهكذا فإن هذا العيد اليوم هو حلقة الوصل بين الصعود والعنصرة، بين الوعد بإرسال الروح وتحقيق الوعد. لكن مجيء الروح له هدف وحيد أن نصبح شهوداً ليسوع في العالم على انه ابن الله.

نعيِّد اليوم للشهادة والحق، ويسوع هو الحق والحياة وبه الحق والحياة. إرسال الروح القدس كان يهدف إلى إقامة شهود للرب القائم من بين الأموات. هذا ما قاله الرب عند صعوده إلى السماء: «لكنَّكم ستنالونَ قوَّةً متى حلَّ الروحُ القدسُ عليكم وتكونون لي شهوداً في أورشليمَ وفي كلِّ اليهوديّةِ والسامرةِ وإلى أقصى الأرض. ولمَّا قال هذا ارتفعَ وهم ينظرونَ» (أع ١: ٨ و٩).

تعلّمنا الكنيسة من خلال الآباء أن نكون شهوداً للحق لأن كلاً منا نال عطية الروح القدس في المعمودية. لقد كان همّ آباء مجمع نيقية أن يشهدوا للحق والإيمان بالكلام كما شهدوا قبل سنوات بتحمّلهم الاضطهادات. فكثيرون ممن جاؤوا إلى هذا المجمع كانوا يحملون في أجسادهم آثار العذابات في زمن الاضطهادات. فبولس أسقف قيصرية الجديدة كان يابس العصب، وتوما أسقف مرعش كان مشوّه الأعضاء، ولم يكن القديس اسبيريدون أفضل حالاً منهما.

تذكار الآباء القديسين في هذا الأحد يعلّمنا أن الكنيسة تبقى حيّة بنعمة الروح القدس من خلال كل مَن يشهد للإيمان وللرب يسوع بأنه إله ورب، وأنه علينا نحن الذين وُلدنا في الكنيسة بالمعمودية المقدسة مهمة كبيرة طالما مُسحنا بمسحة الروح القدس: أن نبقى شهوداً أمناء للرب «ولكلمةِ نِعمتهِ القادرةِ أن تبنيكم وتُعطيكم ميراثاً مع جميعِ المُقدَّسينَ» (أع ٢٠:٣٢).

سبت الأموات

رتبت الكنيسة المقدسة قبل أحد العنصرة أن تُقام ذكرى للأموات الراقدين على رجاء القيامة، لذلك تُقام القداديس الإلهية في كافة كنائس الأبرشية صباح السبت ٢٦ أيار ٢٠٠٧.

بالامكان الإطلاع على النشرة

أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb